محاضرة الأدب المقارن (رقم 03) السنة الثالثة (أدب)

مثال عن دراسة التأثير والتأثر

بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية

من الذي أثّر في الآخر؟

لم يعد دانتي أليجيري Donté Aligieri (1265 – 1321) غريبا، على الأقل كموضوع شائق للمشتغلين في حقل الأدب المُقارن، فقد أثار نصه الأدبي الكبير (الكوميديا الإلهية) الكثير من النقاش، حول تأثّره بالمصادر العربية والإسلامية وفي استلهامه لموضوع الرحلة إلى عالم الآخرة. ففي الغالب، كانت المقارنات تستهدف نصّا عربيا فارقا هو (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، لما بينهما من تشابه في الموضوع.

فالنصان يشتركان، على الرغم من التباعد الزمني والجغرافي الشاسع بينهما، في نفس الرحلة التي تخيلها الشاعران، والتي قادتهما إلى الجنة والجحيم، عبر سلسلة من الأحداث واللقاءات العجيبة.

إلاّ أنّ دراسات أخرى، قلّلت من شأن هذه التأثيرات العربية والإسلامية، بحجّة أنّ الكتابة عن الغيبيات لم تكن حكرا على الأدبيات الإسلامية والمسيحية، بل هي موجودة في آداب الثقافات الإنسانية جمعاء.

تعريف الكوميديا الإلهية

الكوميديا الإلهية هي قصيدة ملحمية ألّفها دانتي أليجيري مابين (1308 و 1321)، وهي مُكوّنة من ثلاثة أجزاء: الجحيم، المطهر (هو المكان بين الجنة والنار)، الفردوس. وقد روى فيها دانتي رحلته الخيالية إلى عالم الآخرة، حتى ينقذ ابنته المنتحرة من العذاب. ألّف دانتي هذه القصيدة بعدما نُفي خارج فلورنسا لأسباب ذات صلة بمواقفه السياسية، لذا اعتبرها بعض النقّاد ((الفضاء الرؤيوي الذي سكنه دانتي حينما انقطع الاتصال بينه وبين فلورنسا))[1].

قد يظنّ البعض أنّ هناك تناقضا بين عنوان القصيدة (الكوميديا) وموضوعها الذي لا علاقة له بالسخرية، فالمسألة لها تفسيرها إذا ما عُدنا إلى المعنى الأصلي للفظة (الكوميديا)، فهي النّشيد الذي يُغنّى بلغة العامة، فالكوميديا الإلهية كُتبت باللهجة التوسكانية، بدل تأليفها باللّغة اللاتّينية. لا ننسى بأنّ دانتي قد ألّف كتابا بعنوان (اللغة العامية)، كما أنّ علاقته

[1]- بريندا دين شيلديغين، دانتي والشرق، تر: سمير كرم، المشروع القومي للترجمة، ط01، 2010، ص33.

برجالات الدين في عصره كانت متوتّرة، خاصة وأنّ اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية للكنيسة.

وُلد دانتي في فلورنسا عام 1265، وكان اسمه يعني (حامل الجناح الباقي على الزمن)[2]. عُرف باهتماماته المعرفية والأدبية الواسعة، درس التراث الروماني، وتخصص في أدب فرجيل، هذا الأخير سيتحول إلى دليله في الكوميديا الإلهية. بدأ مسيرته الأدبية بنص بعنوان (الكنز الصغير)، وكان يحمل الكثير من سيمات الكوميديا الإلهية، مصوّرا رحلة في غابة متوحشة، حيث سيقابل الشاعر اللاتيني اوفيد. من أعماله الأخرى (الحياة الجديدة)، (الوليمة)، (اللغة العامية)، (الملكية).

موضوع القصيدة:

يجد دانتي نفسه تائها في غابة مُظلمة، ويلتقي هناك بشاعر الرومان الأعظم (فرجيل) الذي سيخبره أنّ الخروج من هذه الغابة سيكون بالمرور عبر الجحيم، وهناك سيلتقي بشخصيات ورد ذكرها في الكتاب المقدس وبشخصيات تنتمي إلى عالم الأدب، وستنتهي الرحلة بلقاء الشيطان. سينتقلان بعد ذلك إلى (المطهر) وهي المنطقة بين الجنة والجحيم، ليلتقي

---

[2])- دانتي أليجيري، الكوميديا الإلهية، تر : حسن عثمان، دار المعارف، ط3، ص21

بشخصيات كثيرة تنتظر دورها للعبور إلى الفردوس، وسيواصل دانتي رحلته ليصل إلى الجنة.

والكوميديا الإلهية مليئة بالرموز، التي تكشف عن رؤية دانتي المعارضة للكنيسة.

الكوميديا الإلهية والمصادر العربية والإسلامية:

هل كان دانتي فعلا على اطلاع بالمصادر العربية والإسلامية؟ وهل قرأ، على وجه التحديد، رسالة الغفران للمعري؟ اختلف المؤرخون حول مدى اتصال دانتي المباشر بهذه المصادر، بالرغم من أنّ الرحلة إلى عالم الآخرة كان موضوعاً مشتركاً بين الكوميديا الإلهية وبعض النصوص العربية والإسلامية, ونذكر من بين تلك النصوص، على غرار رسالة العفران، قصة الإسراء والمعراج، والفتوحات المكية لابن عربي.

وكان أوّل من أثار هذا النقاش العالم الإسباني جيوست خوان أندريس، وهذا عام 1740، لتعود القضية على يد ميغيل آسين بلاثيوس عام 1919 صاحب كتاب (الحياة في الآخرة في الإسلام).

فقد ألقى أسين بالاثيوس محاضرة عام 1919 أمام المجمّع اللغوي الملكي في إسبانيا بمناسبة اختياره عضوا فيه والتي لخص فيها موجزا لنظريته، ثم لم

يلبث أن نشرها في نفس هذا العام. وفي عام 1927 ألّف كتاباً مهما بعنوان ((دانتي والإسلام)).[3]

وحسب بلاثيوس، فإنّ دانتي كان متأثّرا بالتصوف الأفلاطوني الجديد الذي نقله الفيلسوف القرطبي (ابن مسرة)، كما وجد تشابها بين نص الكوميديا والفتوحات المكية.[4] خاصة في الفصل الذي عنوانه (كيمياء السعادة)يحكي فيها ابن عربي، بأسلوب رمزي ومجازي، عن معراج بعض المريدين والفلاسفة إلى عالم الآخرة.

غير أنّ فرضية أن يكون دانتي قد قرأ مباشرة هذه المصادر جد ضعيفة، ويرجح بلاثيوس أنّه من المُحتمل أن يكون دانتي قد تلقى أفكار عامة من أستاذة برونيتو لاتيني، خاصة ما تعلق بالرؤية الإسلامية للآخرة.[5]

بل ويذهب بعيدا في أطروحته، بالقول بأنّ الصلة بين الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران تحديدا ضعيفة جدا، فصلة التشابه هي أقرب إلى قصة الإسراء والمعراج، حيث تقول بعض المصادر التاريخية بأنّ ملك إسبانيا (ألفونسو العاشر) قد أمر طبيبا يهودياً يدعى (أبراهام الحكيم) بترجمة قصة

---

[3]- صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، دار الشروق، ط03، 1986، ص38

[4] – يُنظر: أحمد صالح الطامي، من الترجمة إلى التأثير: دراسات في الأدب المقارن، منشورات ضفاف بيروت، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، ط01، 2013، ص

[5] – يُنظر: دانتي أليجيري، الكوميديا الإلهية، مصدر سابق، ص60

المعراج الإسلامية من العربية إلى الاسبانية عام 1263، واستندت هذه الترجمة إلى ترجمة أخرى لمترجم إيطالي يُدعى (بوينا فينتورا دي سينا)، التي ظهرت قبل أن يُولد دانتي بسنة واحدة.[6]

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري:

التعريف بالمعري وبرسالته

هو أبو العلاء احمد بن عبد الله (363 م - ، وسمي بالمعري نسبة إلى بلدته (معرة النعمان)، وهي بلدة بالشام. نشأ في بيت علم وقضاء، فقد تولت جماعة من أهله قضاء المعرة.

أصيب بالجدري في سن مبكرة، ما تسبب في فقدانه للبصر. اخذ علمه ببغداد حتى سطع نجمه في عالم اللغة والأدب، بل اعتبره أهل زمانه أعجوبة من العجائب، متفرد في سعة علمه، رغم أنه اعمى.

ألف العديد من المؤلفات: أدب العصفورين، أسعاف الصديق، إقليد الغايات، الأمالي، بحر الزجر، تاج الحرة،...إلخ ورسالة الغفران. وهذا المؤلف الأخير، كتبه لعلي بن منصور الحلبي المعروف باسم ابن القارح، في شكل رسالة يرد فيها على ما جاء في رسالته من حديث عن الزنادقة. وقد

---

[6])- يُنظر: صلاح فضل، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ص40

جاءت رسالة المعري فريدة في أسلوبها، وغريبة في عوالمها التي جعلت المعري يزور الجنة والجحيم فذكر أحوال الجنة والنار.[7]

هناك أطروحة طريفة للناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو، يقلب فيها معادلة التأثير والتأثر بين الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران، وقد بدأ تحليله بطرح السؤال التالي: لماذا أصبحت رسالة الغفران أكثر نصوص المعري أهمية في القرن العشرين، في حين لم يهتم بها معاصروه، ولم تثر في عصره أيّ نقاش يُذكر؟

يقول كيليطو: ((لولا دانتي لما اهتم أحد **برسالة الغفران.** لقد صارت محط عناية ورعاية منذ أن نظر إليها كرافد من الروافد التي غذّت **الكوميديا الإلهية**))**.**[8]

تكمن وجهة نظر كيليطو في أنّ المقارنة بين المعري ودانتي، لا جدوى منها، نظرا لغياب دليل موضوعي يؤكد إطلاع دانتي المباشر على رسالة الغفران،

---

[7])- يُمكن الاستفادة من كتاب (أبو العلاء المعري) لأحمد تيمور باشا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط، 2012.

[8])- عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط01، 2000. ص 19.

لاسيما وأنّ نص المعري لم يترجم إلى أي لغة، ولم يرد عنها أي خبر في كُتب الايطاليين او الأوروبيين.

ما حدث، أنّ محاولة التقريب بين النصين، والتي جاءت متأخرة، هي ما أخرج رسالة الغفران من عزلتها، والنتيجة حسب كيليطو أن دانتي هو الذي أثّر في المعري، وليس العكس. ((في رسالة الغفران لا يلتقي ابن القارح بالشعراء العرب فقط، وإنما أيضا بالشاعر الإيطالي. إن دانتي حاضر في كل مشهد منها، والحوار بينه وبين المعري لا يتوقف لحظة. لم نعد قادرين على قراءة الغفران بمعزل عن الكوميديا)).[9]

الواجب المنزلي:

ما هي القضية الجوهرية التي تطرحها هذه المحاضرة؟ مع الشرح.

الواجب يُسلم للأستاذ بن علي في مكتب رئيس القسم يوم الإثنين 19 أكتوبر 2020.

[9])- عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، ص20.